

قسم اللغة العربية
جامعة غوربنغا، مالد، بنغال الغربية
UNIVERSITY OF GOUR BANGA



النصوص المختارة
للتخصص الفرعي

SELECTED TEXTS
For
MINOR

NEP-2020 based Undergraduate Course Structure
(As per Curriculum and Credit Framework for Undergraduate Programs
i.e FYUGP or Four Years Under Graduate Programs)

ARABIC

P.O.-Mokdumpur, Dist.- Malda
West Bengal, Pin: 732103

SEMESTER- IV
PAPER CODE: ARB-IDC-MN-401
PAPER NAME: Classical Literature and Impact of Arabic on Indian Languages

عباد الرحمن

القرآن الكريم

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن
أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢) وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا
سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا
كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا
(٦٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ
يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا
عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَيْنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)
أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا ۖ حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) قُلْ
مَا يَعْبُأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧)

المنتخب من صحيح البخاري

محمد بن إسماعيل البخاري

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! من أحق بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال ثم أمك، قال: ثم من؟ قال ثم أبوك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: "هذا مقام العائد بك من القطيعة" قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب! قال: فهو لك.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرا، فنزل فيها فشرب ثم خرج؛ فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش؛ فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب؛ فشكر الله له، فغفر له.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت.

قال أبو هريرة عن النبي ﷺ "الكلمة الطيبة صدقة".

عن عروة بن زبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم! قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: عليكم السام واللعنة. قالت: فقال رسول الله ﷺ: مهلا يا عائشة! إن الله يحب الرفق في الأمر كله. فقلت: يا رسول الله ﷺ: ألم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: قد قلت: و عليكم!

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إياكم و الظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا؛ و كونوا عباد الله اخوانا.

عن ابن عباس رض قال : خرج النبي ﷺ من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما ؛ فقال : يعذبان، وما يعذبان في كبير و إنه لكبير ! كان أحدهما لا يستتر من البول و كان الآخر يمشى بالنميمة ؛ ثم دعا بجريدة، فكسرها بكسرتين أو ثنتين فجعل كسرة في قبر هذا وكسرة في قبر هذا فقال : لعله يخفف عنهما ما لم تيبسا.

عن سلمة بن الأكوع قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلا، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تسمعنا من هنيهاتك. و كان عامر رجلا شاعرا. فنزل يحدو بالقوم و يقول :

اللهم لو لا أنت ما اهتدينا	و لا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فدى لك ما اقتفينا	و ثبت الاقدام إن لاقينا
و القيا سكيمة علينا	إننا إذا صيح بنا أتينا
و بالصياح عولوا علينا	

فقال رسول الله ﷺ: من هذا السائق؟ فقالوا : عامر بن الأكوع ! فقال : يرحمه الله!

أمر الخاتم

البلاذري

حدثنا عفان بن مسلم قال حدثنا شعبة قال: أنبأ قتادة، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى ملك الروم قيل له: إنهم لا يقرأون الكتاب إلا أن يكون مختوما. قال: فاتخذ خاتما من فضة. فكأنني أنظر إلى بياضه في يده. ونقش عليه: محمد رسول الله.

حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود الزهراني قال حدثنا حماد بن زيد قال: أنبأنا أيوب، عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة، وجعل فصه من باطن كفه.

حدثني محمد بن حيان الحياتي قال حدثنا زهير عن حميد، عن أنس بن مالك قال: كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة كله وفصه منه.

حدثنا عمرو الناقد قال: حدثنا يزيد بن هارون عن حميد عن الحسن قال: كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورق، وكان فصه حبشيا.

حدثنا هدية بن خالد قال: حدثنا همام بن يحيى، عن عبد العزيز ابن صهيب عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قد صنعت خاتما فلا ينقش أحدا على نقشه.

حدثنا بكر بن الهيثم قال: حدثنا عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري وقتادة قال: اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة، ونقش عليه محمد رسول الله. فكان أبو بكر يختم به، ثم عمر ثم عثمان، وكان في يده فسقط من يده في البئر، فتزفت فلم يقدر عليه، وذلك في النصف من خلافته، فاتخذ خاتما ونقش عليه محمد رسول الله في ثلاثة أسطر.

من حدثنا هناد قال: حدثنا الأسود بن شيبان قال أخبرنا خالد بن سمير قال: انتقش رجل يقال له معن بن زائدة على خاتم الخلافة. فأصاب مالا خراج الكوفة على عهد عمر، فبلغ ذلك عمر فكتب إلى المغيرة بن شعبة: إنه بلغني أن رجلا يقال له معن بن زائدة انتقش على خاتم الخلافة، فأصاب به مالا من خراج الكوفة. فإذا أتاك كتابي هذا فننذ فيه أمري، وأطع رسولي فلما صلى المغيرة العصر وأخذ الناس مجالسهم خرج ومعه رسول عمر فاشرب الناس ينظرون إليه حتى وقف على معن. ثم قال للرسول: إن أمير المؤمنين أمرني أن أطيع أمرك فيه فمرني بما شئت فقال الرسول: ادع لي بجامعة أعلقها في عنقه، فأتى بجامعة فجعلها في عنقه وحبذها حبذا شديدا. ثم قال للمغيرة احبسه حتى يأتيك فيه أمر أمير المؤمنين. ففعل. وكان السجن يومئذ من قصب، فتمحل معن للخروج، وبعث إلى أهله: أن ابعثوا لي بناقتي وجاريتي وعباءتي القطوانية. ففعلوا.

فخرج من الليل وأردف جاريته، فسار حتى إذا رهب أن يفصح الصبح أناخ ناقته وعقلها، ثم كمن حتى كف عنه الطلب. فلما أمسى أعاد على ناقته العبادة وشد عليها وأردف جاريته، ثم سار حتى قدم على عمر، وهو موقظ المتجهدين لصلاة الصبح ومعه درته. فجعل ناقته وجاريته ناحية ثم دنا من عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال: وعليك من أنت؟ قال: معن بن زائدة جئتك تائبا، قال: انت فلا يحييك الله. فلما صلى صلاة الصبح قال للناس: مكانكم.

فلما طلعت الشمس قال: هذا معن بن زائدة انتقش على خاتم الخلافة فأصاب فيه مالا من خراج الكوفة، فما تقولون فيه؟ فقال قائل: اقطع يده. وقال قائل: أضلعه. وعلى ساقط فقال له عمر ما تقول أبا الحسن قال: يا أمير المؤمنين رجل كذب كذبة عقوبته في بشره. فضربه عمر ضربا شديدا -أو قال مبرحا - وحبسه فكان في الحبس ما شاء الله.

ثم إنه أرسل إلى صديق له من قريش: أن كلم أمير المؤمنين في تخلية سبيلي. فكلمه القرشي فقال: يا أمير المؤمنين معن بن زائدة قد أصبته من العقوبة بما كان له أهلا، فإن رأيت أن تخلى سبيله فقال عمر: ذكرتني الطعن وكنت ناسيا على بمعن فضربه ثم أمر به إلى السجن فبعث معن إلى كل صديق له: لا تذكروني لأمر المؤمنين. فلبث محبوبا ما شاء الله. ثم إن عمر انتبه له، فقال: معن فأأتى به فقاسمه وخلق سبيله.

حدثني المفضل اليشكري وأبو الحسن المدائني عن ابن جابان، عن ابن المقفع قال: كان ملك الفرس إذا أمر بأمر وقعه صاحب التوقيع بين يديه، وله خادم يثبت ذكره عنده في تذكرة تجمع لكل شهر، فيختم عليها الملك خاتمه، وتخزن ثم ينفذ التوقيع إلى صاحب الزمام وإليه الختم فينفذه إلى صاحب العمل. فيكتب به كتابا من الملك وينسخ في الأصل، ثم ينفذ إلى صاحب الزمام فيعرضه على الملك، فيقابل به ما في التذكرة، ثم يختم بحضرة الملك أو أوثق الناس عنده.

وحدثني المدائني عن مسلمة بن محارب قال: كان زياد بن أبي سفيان أول من اتخذ من العرب ديوان زمام وخاتم امثالها لما كانت الفرس تفعله.

حدثني مفضل اليشكري قال: حدثني ابن جابان، عن ابن المقفع قال: كان ملك من ملوك فارس خاتم للسر، وخاتم للرسل، وخاتم للتخليد، يختم به السجلات والاقطاعات وما أشبه ذلك من كتب التشريف، وخاتم للخراج.

فكان صاحب الزمام يليها. وربما أفرد بخاتم السر والرسائل رجل من خاصة الملك.

وحدثني أبو الحسن المدائني عن ابن جابان عن ابن المقفع قال: كانت الرسائل بحمل المال تقرأ على الملك، وهي يويئذ تكتب في صحف بيض. وكان صاحب الخراج يأتي الملك كل سنة بصحف موصلة قد أثبت فيها مبلغ ما اجتبي من الخراج، وما أنفق في وجوه النفقات، وما حصل في بيت المال فيختمها ويجريها. فلما كان كسرى بن هرمز ابرويز تأذى بروائح تلك الصحف وأمر أن لا يرفع إليه صاحب ديوان خواجه ما يرفع إلا في صحف مصفرة بالزعفران وماء الورد، وأن لا تكتب الصحف التي تعرض عليه بحمل المال وغير ذلك إلا مصفرة، ففعل ذلك.

فلما ولي صالح بن عبد الرحمن خراج العراق تقبل منه ابن المقفع بكور دجلة ويقال باليهقباز فحمل مالا فكتب رسالته في جلد وصفرها. فضحك صالح وقال: أنكرت أن يأتي بها غيره يقول: لعلمه بأمور العجم. قال أبو الحسن وأخبرني مشايخ من الكتاب أن دواوين الشام إنما كانت في قراطيس، وكذلك الكتب إلى ملوك بني أمية في حمل المال وغير ذلك. فلما ولي أمير المؤمنين المنصور أمر وزيره أبا أيوب المورياني أن يكتب الرسائل بحمل الأموال في صحف، وأن تصفر الصحف فجرى الأمر على ذلك.

المرثية

حسان بن الثابت رضي الله عنه

ما بال عيني لا تنام كأنما
جزعاً على المهدي أصبح ثاوياً
جنبي يقيك التراب لهفي ليتني
أقيم بعدك بالمدينة بينهم
بأبي وأمي من شهدت وفاته
فظللت بعد وفاته متلداً
أو حل أمر الله فينا عاجلاً
فتقوم ساعتنا فنلقى طيباً
يا بكر أمانة المبارك ذكره
نوراً أضاء على البرية كلها
يا رب فجمعنا معاً ونبينا
في جنة الفردوس واكتفها لنا
والله أسمع ما حييت بهالك
يا ويح أنصار النبي ورهطه
ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا
ولقد ولدناه وفيه لنا قبره
والله أكرمنا به وهدي به
صلى الإله ومن يخف بعشره
فرحت نصارى يثرب ويهوده

كجالت مآقها بكحل الأرميد
يا خير من وطئ الحصى لا تبعد
غيبت قبلك في بقيع الغرقد
يا لهف نفسي ليتني لم أولد
في يوم الاثنين النبي المهدي
يا ليتني أسقيت سم الأسود
من يومنا في روحة أو في غد
مخصاً ضرائبه كريم المحتد
ولدتك محصنة بسعد الأسعد
من يهد للنور المبارك يهد
في جنة نبي غيوان الحسد
يا ذا الجلال وذا العلا والسود
إلا بكيت على النبي محمداً
بعد المغيب في سواء الملحد
سوداً وجوههم كلون الإثم
وفضل نعمته بنا لم نجحد
أنصاره في كل ساعة مشهد
والطيبون على المبارك أحمد
لما توارى في الضريح الملحد

SEMESTER- VII
PAPER CODE: ARB-IDC-MN-701
PAPER NAME: Modern Literature and Contemporary Arab World

صدى الحرب

أحمد شوقي بك

وَيُنْصَرُ دِينَ اللَّهِ أَيَّانَ تَضْرِبُ وَلَا الْأَمْرُ إِلَّا لِلَّذِي يَتَغَلَّبُ لَنِعْمَ الْمُرِّي لِلطُّغَاةِ الْمُؤَدَّبُ فَنِعْمَ الْحَسَامُ الطُّبُّ وَالْمُتَطَيَّبُ وإن هو نام استيقظت تتأَلَّبُ و«أرمينيا» تَكَلَّى و«حوران» أَشِيبُ رَجَاؤُكَ يُعْطِيهَا، وَخَوْفُكَ يَسْلُبُ بِأَسْطَعِ مِثْلِ الصَّبْحِ لَا يَتَكَذَّبُ يُسَارِيهِ مِنْ عَالِي ذِكَاكَ كَوَكْبُ تَكشَّفَ دَاجِي الْخَطْبِ وَانْجَابَ غَمِّبُ لَهُمْ مَأْرَبٌ فِيهَا وَلِلَّهِ مَأْرَبُ	بَسِيفِكَ يعلُو الحقُّ والحقُّ أَغْلَبُ وَمَا السِّيفُ إِلَّا آيَةُ الْمَلِكِ فِي الْوَرَى فَأَدَّبَ بِهِ الْقَوْمَ الطُّغَاةَ فَإِنَّهُ وَدَاوِ بِهِ الدُّوَلَاتِ مِنْ كُلِّ دَائِهَا تَنَامُ خُطُوبُ الْمَلِكِ إِنْ بَاتَ سَاهِرًا أَمِنَّا اللَّيَالِي أَنْ نُرَاعَ بِحَادِثٍ وَمَمْلَكَةُ «الْيُونَانِ» مُحْلُولَةُ الْعُرَى هَدَدَتِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كِيَانَهَا وَمَا زَالَ فَجْرًا سَيْفُ «عُثْمَانَ» صَادِقًا إِذَا مَا صَدَعَتِ الْحَادِثَاتِ بِحَدِّهِ وَهَابَ الْعِدَا فِيهِ خِلَافَتُكَ الَّتِي
---	---

جميل وبثين

جميل صدقي الزهاوي

أبثين إن أدنى العدو حمامي	بمسدس يوريه أو بحسام
فتجلدي عند الرزية واحسبي	أنني اجتمعت إليك في الأحلام
والصبر أجمل إن أملت نكبة	بكريمة ينموها لكرام
أبثين إن أودى جميلك خابطاً	بدم له اهريق فوق رغام
فتدري للخطب صبراً وامسحي	من أدمع فوق الخدود سجام
أنا لست أول هالك في قومه	يرجو تقدمهم مع الأقوام
ما زال مذ أخذ اليراع بكفه	يسعى لينقذهم من الأوهام
أنا لست وحدي إن هلكت بميت	كم من كرام في التراب نيام
عشنا زماناً في بلهنية الرضى	متمتعين بألفة ووثام
فإذا هلكت وكل شيء هالك	فإليك أهدي يا بثين سلامي
لا تجزعي يا بثن إني واثق	بيراعتي وعواقب الأيام

المجرم

جبران خليل جبران

على قارعة الطريق قعد شاب مستعطيًا. فتى قويّ الجسم أضعفه الجوع فجلس في منعطف الشارع مآدًا يده نحو العابرين متسوّلاً مستغيثًا بالمحسنين، مردّدًا آيات انكساره، شاكيًا آلام جوعه.

خيّم الليل وقد يبست شفتاه وكلّ لسانه ولم تزل يده فارغة مثل جوفه. فقام إذ ذاك وذهب إلى خارج المدينة وجلس بين الأشجار وبكى بكاءً مرًّا. ثمّ رفع نحو السماء عينين يغشاهما الدمع وقال والجوع يلقنه: يا ربّ قد ذهبت إلى الموسر أطلب عملاً، فطردت لثرثثة أثوابي، وطرقت باب المدرسة، فمنعت لفراغ يديّ. ورمت الاستخدام ولو بكفاف يومي، فأبعدت لسوء طالعي. وأخيرًا سعيت متسوّلاً فرآني عبادك يا ربّ وقالوا هذا قويّ نشيط والإحسان لا يجوز على ابن التواني والكسل. قد ولدني أمي بإرادتك يا ربّ، وأنا كائن الآن بكيانك، فلماذا يمنع الناس الخبز عني وأنا طالب باسمك؟

في تلك الدقيقة تغيّرت شحنة الرجل اليائس، فانتصب وقد لمعت عيناه كالشهب ثمّ اقتضب من الأغصان اليابسة نبوتًا ضخماً وأشار به نحو المدينة وصرخ قائلاً: طلبت الحياة بعرق الجبين فلم أجدها، فسوف أحصل عليها بقوة ساعدي. وسألت الخبز باسم المحبة فلم يسمعني الإنسان، فسأطلبه باسم الشرّ وأستزيد منه...

مرّت الأيام والشابّ يقطع الأعناق من أجل الحصول على العقود، ويهدم هياكل الأرواح إن تصدّت لمطامعه. فنمت ثروته وعمّ بطشه وصار محبوبًا من لصوص القوم ومخيفًا لعقلائهم ثمّ انتدبه الأمير وكيلاً عنه في تلك المدينة شأن الأمراء بانتقاء ممثلهم. كذا يبتدع الإنسان من المسكين سقّاحًا باستمساكه، ومن ابن السلام قاتلاً بقساوته.

المخايل العجيبة

طه حسين

كان مطمئنًا إلى أن الدنيا تنتهي عن يمينه بهذه القناة التي لم يكن بينه وبينها إلا خطوات معدودة ... ولم لا وهو لم يكن يرى عَرَضَ هذه القناة، ولم يكن يُقَدِّرُ أنَّ هذا العرض ضئيلٌ بحيث يستطيع الشاب النشيط أن يثب من إحدى الحافتين فيبلغ الأخرى؟! ولم يكن يُقَدِّرُ أن حياة الناس والحيوان والنبات تتصل من وراء هذه القناة على نحو ما هي من دونها، ولم يكن يُقَدِّرُ أن الرجل يستطيع أن يعبر هذه القناة ممتلئًا دون أن يبلغ الماءُ إبطيه، ولم يكن يقدر أن الماء ينقطع من حينٍ إلى حينٍ عن هذه القناة، فإذا هي حفرةٌ مستطيلة يعبث فيها الصبيان، ويبحثون في أرضها الرخوة عما تخلف من صغار السمك فمات لانقطاع الماء عنه.

لم يكن يقدر هذا كله، وإنما كان يعلم يقينًا لا يُخالطه الظن، أنَّ هذه القناة عالمٌ آخر مستقلٌّ عن العالم الذي كان يعيش فيه، تعمره كائنات غريبة مختلفة لا تكاد تحصى؛ منها: التماسيح التي تزدد الناس ازدراذًا، ومنها المسحورون الذين يعيشون تحت الماء بياض النهار وسواد الليل، حتى إذا أشرقت الشمس أو غربت طفقوا يتنسمون الهواء، وهم حين يطفون خطرًا على الأطفال وفتنةً للرجال والنساء. ومنها: هذه الأسماك الطوال العراض التي لا تكاد تظفر بطفل حتى تزدرده ازدراذًا، والتي قد يُتاح لبعض الأطفال أن يظفروا في بطونها بخاتم الملك؛ ذلك الخاتم الذي لا يكاد الإنسان يُديره في إصبعه حتى يسعى إليه دون لمح البصر خادمان من الجن يقضيان له ما يشاء، ذلك الخاتم الذي كان يتختمه سُلَيْمان فيُسجّر له الجن والريح وما شاء من قوى الطبيعة. وما كان أحب إليه أن يهبط في هذه القناة لعلَّ سمكةً من هذه الأسماك تزدرده فيظفر في بطنها بهذا الخاتم؛ فقد كانت حاجته إليه شديدةً ... ألم يكن يطمع على أقلِّ تقديرٍ في أن يحمله أحد هذين الخادمين إلى ما وراء هذه القناة ليرى بعض ما هناك من الأعاجيب! ولكنه كان يخشى كثيرًا من الأهوال قبل أن يصل إلى هذه السمكة المباركة.

على أنه لم يكن يستطيع أن يبلو من شاطئ هذه القناة مسافةً بعيدة؛ فقد كان هذا الشاطئ محفوفًا عن يمينه وعن شماله بالخطر، فأما عن يمينه فقد كان هناك العدويون، وهم قومٌ من الصعيد يُقيمون في دارٍ لهم كبيرة يقوم على بابها دائمًا كلبان عظيمان لا ينقطع نباحهما، ولا تنقطع أحاديث الناس عنهما، ولا ينجو المارُّ منهما إلا بعد عناء ومشقة، وأما عن شماله فقد كانت هناك خيامٌ يقيم فيها «سعيد الأعرابي» الذي كان الناس يتحدثون بشرةٍ ومكرهٍ وحرصه على سفك الدماء، وامراته «كوابس» التي كانت قد اتخذت في أنفها حلقةً من الذهب كبيرة، والتي كانت تختلف إلى الدار وتُقبّل صاحبنا من حينٍ إلى حينٍ، فيؤذيه خزامها ويرُوعه. وكان أخوف الأشياء إليه أن يتقدم عن يمينه فيتعرض للكلبي العدويين، أو يتقدم عن شماله فيتعرض لشر

«سعيد» وامراته "كوابس". على أنه كان يجد في هذه الدنيا الضيقة القصيرة المحدودة من كل ناحية ضرورياً من اللهو والعبث تملأ نهاره كله.

ولكن ذاكرة الأطفال غريبة، أو قل: إن ذاكرة الإنسان غريبة حين تحاول استعراض حوادث الطفولة؛ فهي تتمثل بعض هذه الحوادث واضحاً جلياً كأن لم يمض بينها وبينه من الوقت شيء، ثم يَمحى منها بعضها الآخر كأن لم يكن بينها وبينه عهد.

يذكر صاحبنا السّياج، والمزرعة التي كانت تنبسط من ورائه، والقناة التي كانت تنتهي إليها الدنيا، و«سعيداً» و«كوابس» وكلاب العدوَيْن، ولكنه يحاول أن يتذكر مصير هذا كله فلا يظفر من ذلك بشيء، وكأنه قد نام ذات ليلة ثم أفاق من نومه فلم ير سياجاً ولا مزرعة ولا سعيداً ولا كوابس، وإنما رأى مكان السياج والمزرعة بيوتاً قائمة وشوارع منظمّة، تنحدر كلها من جسر القناة ممتدةً امتداداً قصيراً من الشمال إلى الجنوب، وهو يذكر كثيراً من الذين كانوا يسكنون هذه البيوت رجالاً ونساءً، ومن الأطفال الذين كانوا يعبثون في هذه الشوارع.

وهو يذكر أنه كان يستطيع أن يتقدّم يميناً وشمالاً على شاطئ القناة دون أن يخشى كلاب العدوَيْن أو مكرّ سعيد وامراته. وهو يذكر أنه كان يقضي ساعاتٍ من نهاره على شاطئ القناة سعيداً مبتهجاً بما سمع من نغمات «حسن» الشاعر يتغنّى بشعره في أبي زيد وخليفة ودياب، حين يرفع الماء بشادوفه ليسقي به زرعه على الشاطئ الآخر للقناة. وهو يذكر أنه استطاع غير مرة أن يعبر هذه القناة على كتف أحد إخوته دون أن يحتاج إلى خاتم الملك، وأنه ذهب غير مرة إلى حيث كانت تقوم وراء القناة شجراتٌ من التوت فأكل من ثوتها ثمراتٍ لذيذة. وهو يذكر أنه تقدّم غير مرة عن يمينه على شاطئ القناة حتى وصل إلى حديقة المعلم وأكل فيها غير مرة تفاحاً، وقُطف له فيها غير مرة نعناعٌ وريحان، ولكنه عاجزٌ كلّ العجز أن يتذكّر كيف استحالت الحال وتغيّر وجه الأرض من طوره الأول إلى هذا الطور الجديد.